

شعب الإيمان

باب حقيقة الإيمان - قال أبو عبد الله الحليمي - C تعالى - : الإيمان مشتق من الأمن الذي هو ضد الخوف كما قال الله عز وجل : { فإن خفتهم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله } الآية - ومعناه والغرض الذي يراد به عند إطلاقه هو : التصديق والتحقيق لأن الخبر هو القول الذي يدخله الصدق والكذب والأمر والنهي كل واحد منهما قول يتردد بين لأن يطاع قائله وبين أن يعصى فمن سمع خيرا فلم يستشعر في نفسه جواز أن يكون كذبا واعتقد أنه حق وصدق فكأنما آمن في نفسه باعتقاد ما اعتقد فيما سمع - من أن يكون مكذوبا أو ملبسا عليه ومن سمع أمرا أو نهيا فاعتقد الطاعة له فكأنما آمن في نفسه - باعتقاد ما اعتقد فيما سمع - من أن يكون مظلوما أو مستسخرا أو محمولا على ما لا يلزمه قبوله والانقياد له فمن ذهب إلى هذا أنزل قول القائل : آمنت بكذا - والمراد آمنت نفسي - منزلة قولهم : وطنت نفسي أو حملت نفسي على كذا أو يكون تركهم ذكر النفس في قولهم : (آمنت) اختصارا لكثرة الاستعمال كما يقال بسم الله - بمعنى بدأت أو أبدأ بسم الله - قال : وفيه وجه آخر : وهو أن يكون معنى آمنت : أي آمنت مخبري أو الداعي لي من التكذيب والخلاف بما صرحت له به من التصديق والوفاق ثم الإيمان الذي يراد به التصديق لا يعدى إلى من يضاف إليه ويلصق به إلا بصلة وتلك الصلة قد تكون باء وقد تكون لاما وقد ورد الكتاب بكل واحد منهما فالإيمان بالله عز وجل ثناؤه : إثباته والاعتراف بوجوده والإيمان له : القبول عنه والطاعة له والإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم : إثباته والاعتراف بنبوته والإيمان للنبي صلى الله عليه وسلم : اتباعه وموافقته والطاعة له ثم إن التصديق الذي هو معنى الإيمان بالله ورسوله منقسم : فيكون منه ما يخفى وينكتم وهو الواقع منه بالقلب ويسمى اعتقادا ويكون منه ما ينجلي ويظهر وهو الواقع باللسان ويسمى إقرارا وشهادة وكذلك الإيمان بالله ورسوله ينقسم إلى جلي وخفي : والخفي منه : هو النيات والعزائم التي لا تجوز العبادات إلا بها واعتقاد الواجب واجبا والمباح مباحا والرخصة رخصة والمحظور محظورا والعبادة عبادة والحد حدا ونحو ذلك والجلي منها : ما يقام بالجوارح إقامة ظاهرة وهو عدة أمور : منها : الطهارة ومنها : الصلاة ومنها : الزكاة ومنها : الصيام ومنها : الحج والعمرة ومنها : الجهاد في سبيل الله و أمور سواها ستذكر في مواضعها إن شاء الله تعالى وكل ذلك إيمان وإسلام وطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم إلا أنه إيمان بمعنى أنه عبادة له وإيمان للرسول بمعنى أنه قبول عنه دون عبادة له إذ العبادة لا تجوز من أحد وتراجع لأنها خطأ إلا D قال : والإيمان بالله و

رسوله صلى الله عليه و سلم فرع و هو الذي يكمل بكماله الإيمان و ينقص بنقصانه الإيمان و معنى هذا أن أصل الإيمان إذا حصل ثم تبعته طاعة زائدة زاد الإيمان المتقدم بها لأنه إيمان انضم إليه إيمان كان يقتضيه ثم إذا تبعت تلك الطاعة طاعة أخرى ازداد الأصل المتقدم و الطاعة التي تليه بها و على هذا إلى أن تكمل شعب الإيمان قال : و نقصان الإيمان هو انفراد أصله عن بعض فروعه أو انفراد أصله و بعض فروعه عما بقي منه مما اشتمل عليه الخطاب و التكليف لأن النقصان خلف الزيادة فإذا قيل لمن آمن و صلى : زاد إيمانه و جب أن يقال لمن آمن و وجبت عليه الصلاة فلم يصل - إنه ناقص الإيمان و أنه صار بتركها مع القدرة عليها فاسقا عاصيا و على هذا سائر الأركان فأما ما يتطوع به الإنسان مما ليس بواجب عليه بمعنى تصديق العقد و القول بالفعل موجود فيه فيزداد به الإيمان و تركه بالإضافة إلى من لم يتركه يجوز أن يسمى نقصانا لكن لا يوجب لتاركة عصيانا هذا معنى قوله : قال : و إذا أوجبنا أن تكون الطاعات كلها إيمانا لم نوجب أن تكون المعاصي الواقعة من المؤمنين كفرا و ذلك أن الكفر باء و برسوله مقابل للإيمان به فإذا كان الإيمان باء و برسوله : الاعتراف به و الإثبات له كان الكفر جوده و النفي له و التكذيب و أما الأعمال فإنها إيمان و للرسول بعد وجود الإيمان به و المراد به إقامة الطاعة على شرط الاعتراف المتقدم فكان الذي يقابله هو الشقاق و العصيان دون الكفر و قد ذكرت في كتاب الإيمان من الأخبار و الآثار ما يكشف عن صحة هذه الجملة و أنا أشير في هذا الكتاب إلى طرق منها بمشيئة الله D